

المقياس: علم الإجرام

المستوى: السنة الأولى ماستر قانون جنائي وعلوم جنائية

الدكتورة: عائشة عبد الحميد

المحاضرة رقم 07:

ب. أثر الخلل النفسي في السلوك الإجرامي:

تتفاعل الأقسام الثلاثة التي ذكرها فرويد فيما بينها لغرض تحقيق الاتزان الداخلي الذي هو من سمات الشخص العادي، إلا أن هذا الاتزان قد لا يتحقق أحياناً مما يؤدي إلى ارتكاب سلوك مخالف للقانون، فكل من الذات الدنيا والذات العليا تحاول أن تجر الذات (النفس) لصالحها، إلا أنه ليس هناك صراع مباشر بين الذات الدنيا والذات العليا لوجود الذات الوسطى (النفس) بينهما، أي إن الصراع النفسي للفرد يأخذ صورتين:

صراع بين الذات العليا والذات الوسطى

صراع بين الذات الدنيا & الذات الوسطى

وبالتالي فإن السلوك الإجرامي يتحقق نتيجة لحدوث الصراعين في الصورتين السابقتين لعدة أسباب وكالاتي:

- عجز الجانب العقلاني (الذات الوسطى) عن تحقيق الانسجام أو التوافق بين الميول والنزعات الفطرية الغريزية وبين النظام الاجتماعي، أي عجز العقل عن ضبط الميول الشهوانية الغريزية.
- انعدام الذات العليا (المثالية والضمير) وعجزها عن أداء دورها في الرقابة أي عجز الجانب المثالي عن أداء وظيفته في الرقابة والردع.
- إن أي صراع بين الذات الدنيا المتمثلة بـ (الميول الغريزية) والذات (الوسطى) العقلانية يؤدي إلى صراع أكثر تعقيداً وهنا يبرز دور الذات العليا المثالية في ضم قواها إلى أي من الجانبين ومما لاشك فيه إن تأييد الذات العليا للجانب الشهواني يؤدي إلى ارتكاب الجريمة.

ج. أثر العقد النفسية في السلوك الإجرامي:

نظراً لارتباط التحليل النفسي لفرويد بالسلوك الإجرامي فقد ضرب مثلاً بما يحدث داخل جنابات النفس الإنسانية من صراعات واضطرابات نتيجة العجز الوظيفي لقسمي (العقل والضمير) عن أداء مهامهما الوظيفية، وتبدو أهم هذه الأمثلة في عقدة أوديب وعقدة الذنب اللذين سنتناولهما بالتفصيل التالي:

➤ عقدة أوديب:

يفسر فرويد كل العلاقات العاطفية بالازدواج، أي وجود مشاعر الحب والكراهة في آن واحد تجاه الشيء، وعقدة أوديب هي عقدة نفسية تظهر بوادرها الأولى لدى الطفل بعد اجتيازه المرحلة الجنسية الذاتية وبلوغه السادسة من العمر، فتظهر عند ظهور بوادر الميل الجنسي عند الأطفال حيث يواجه هذه الغرائز إلى أقرب إنسان لديه وهي الأم ويصاحب هذا الشعور الرغبة في الاستئثار بها وأن لا يشاركه فيها أحد ولكن هذه الرغبة تصطدم بوجود الأب الذي يشاركه في أمه فتتولد لديه رغبة شديدة في التخلص من الأب تحقيقاً للاستئثار بالأم غير أن الرغبة في التخلص من الأب تعاكسها رغبة الطفل بحب أبيه الذي يحبه ويحميه ويحيطه بالرعاية والحنان، لذلك ينشأ صراع في نفس الطفل بين نوعين متناقضين من المشاعر مشاعر الحب ومشاعر الكراهة فإذا لم تقم الذات عند الطفل بتكييف هذا الازدواج في المشاعر بتغليب مشاعر الحب للأب على مشاعر الكراهة فإن مشاعر الكراهة تزداد يوماً بعد يوم فيؤدي إلى أن يشعر الطفل بعقدة نفسية تستقر في جانب اللاشعور من عقل الطفل تسمى عقدة أوديب ويقابل هذه العقدة عقدة أخرى تعاكسها وهي عقدة (الكترا) وهي أن توجه البنت مشاعرها الجنسية الشاذة تجاه الأب.

- ومن الآثار السلبية لعقدة أوديب على الابن هي:

✓ القلق وعدم الاستقرار وفقدان التوازن بسبب غيرته الشديدة من أبيه فيفقد القدرة على الإتيان بسلوك معتاد فيأتي بسلوك شاذ.

✓ البغض اللاشعوري للأب يولد في نفس الطفل الكراهة اللاشعورية لممثل كل سلطة فيكره المعلم في المدرسة والمدير في الدائرة فيميل إلى انتهاك القوانين والأنظمة بأفعال تعد جرائم وفقاً للقانون أو تحرمها القيم الأخلاقية فيثير نقمة المجتمع.

✓ حب الأم المفرط يولد لديه الرغبة في العزوف عن الزواج لأن هذا الحب يحقق له إشباع لرغباته بصورة رمزية، أما إذا وجد نفسه مضطراً فإنه يختار زوجة أكبر منه سناً لكي يجد فيها تعويض عن أمه، وإذا ما توفيت الأم فإنه قد يصاب بانهييار نفسي.

➤ عقدة الذنب:

برى فرويد بأن هذه العقدة تتكون في المراحل الأولى لحياة الإنسان عندما يسيطر على الإنسان شعور بالذنب بسبب مغالاة الوالدين في توبيخ الطفل وتوجيه العقوبة القاسية له سواء تم ذلك عن طريق الضرب أو الكلمات القاسية على الرغم من بساطة الأخطاء التي ارتكبها، إذ أن من شأن هذا التصرف الخاطئ من جانب الوالدين أن يسبب خللاً في الجانب المثالي للطفل حيث يكونان قاسين في محاسبته وصارمين في رقابته وتوجيهه بحيث تكون أبسط الأخطاء في نظر الطفل خطايا كبيرة يستحق من أجلها العقاب وبالتالي يسيطر على الطفل الشعور بالخطيئة، إذ يرى فرويد إن شدة الشعور بالخطيئة قد يكون من أقوى البواعث على الإجرام لا نتيجة الجرم ذاته، وأن الكشف عن هذا الشعور المرضي أهم خطوة في سبيل العلاج.

وقد تصيب هذه العقدة الفرد من جانب آخر وهو الشعور بالاضطراب النفسي نتيجة غياب الذات العليا (المثالية والضمير) أو ضعفها في فترة معينة فيقوم الفرد بارتكاب سلوك شاذ غير مألوف لم يصل إلى حد ارتكاب الجريمة ثم يستعيد الضمير القدرة على التوجيه والرقابة وإرشاد العقل (الذات الوسطى)، وهنا تنشأ عقدة الشعور بالذنب والخطيئة لديه وذلك بسبب الشعور المتولد عن تقصير الأنا العليا في السيطرة على التوازن النفسي، وهذا الشعور بالذنب يظل يطارده حتى يدفعه إلى ارتكاب الجريمة للتحرر من الشعور بالذنب عن طريق العقاب الذي يناله نتيجة للجريمة التي ارتكبها.

❖ نقد مضمون النظرية الفرويدية:

1. إن الافتراض الذي وضعه فرويد بشأن الإنسان حيوان بشري قائم على الغرائز متأثراً بآراء دارون افتراض خاطئ، لأن الإنسان يتميز بخصائص فريدة عن بقية المخلوقات إذ قال تعالى في كتابه العزيز: " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ".
2. يميل فرويد إلى التعميم في بعض الحالات التي قام بفحصها والنتائج التي توصل إليها لأنه أجرى تجاربه على المرضى والمرضى يتميزون بأوصاف غير طبيعية لا يمكن قياس الشخص الطبيعي عليها.

وعليه فإن هذه النظرية تقوم على الافتراض ولم يثبت صحتها من الناحية العلمية ومنها العقد الوهمية التي افترضها وتضمنته من هدم للدعائم التي تقوم عليها الأسرة وهي العلاقة بين الوالدين وأبنائهم، والمبالغة في إبراز دور الغريزة الجنسية حيث لم يثبت علمياً في أنها الأصل في توجيه نوازع السلوك الإنساني.